

المتن

القاعدة الرابعة:

ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وهو يختلف بحسب السياق؛ وما يضاف إليه الكلام، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق. وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه.

الشرح

هذا ظاهر النصوص.

ظاهر النصوص هو ما يتبادر منها إلى الذهن. ما قلنا إنه هو الذي لا يحتمل غيره..... يحتمل غيره لكن أول ما يتبادر إلى ذهنك هو هذا المعنى. هذا هو ظاهر النصوص وهذا يختلف، يقول المؤلف: يختلف بحسب السياق و ما يُضاف إليه الكلام..... إذا قلت جاءني طالب علم كبير؛ وأنا أوزع كتباً فقال أنا أريدُ كتباً فقلتُ لو كيلى على المخزن؛ أعطه ما يليقُ به، وعنده الفتاوى والمغني والمهذب وكتب السنة إيش يعطيه؟ يعطيه كل هذا لأنه طالب علم... وجاءني واحد في الابتدائي؛ طلب كتباً فقلتُ لو كيلى أعطيه ما يليقُ به إيش يعطيه؟ يُعطيه من الأشياء الصغيرة هذا ما يليقُ به. شوف كلمة ما يليقُ به لفظها واحدٌ لكن اختلفت بحسب؟ بسحب ما أضيفت إليه ولا بحسب السياق. السياق واحد "أعطيه ما يليقُ به" فاختلفت بحسب ما أضيفت إليه. فالذي يليقُ بهذا غير الذي يليقُ بهذا.

المتن

لفظ "القرية"، مثلاً يراد به القوم تارة، ومسكن القوم تارة أخرى.

فمن الأول قوله تعالى "وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا" [الإسراء:58].

الشرح

هنا المراد بالقرية أهلها لأن القرى التي هي المساكن ماثعذب الذي يُعذب الساكن دون المساكن.

المتن

ومن الثاني قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم "إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ" [العنكبوت:31].

الشرح

أي أهل هذه المساكن لأنه قال "أهل" فلا يمكن أن يُراد بالقرية هنا أهلها لأننا لو قلنا المراد بالقرية أهل القرية لكان التركيب إنا مُهلكوا أهل هذه الأهل. تستقيم ولا لأ؟ ما تستقيم.

المتن

وتقول:

صنعت هذا بيدي، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى "لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" [ص:75]؛ لأن اليد في المثال أضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أن يد الخالق كيد المخلوق أو

بالعكس.

الشرح

واضح أنا قلتُ صنعتُ هذه بيدي وقد قال الله تعالى: "لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" التركيب واحد لكن بينهما فرق فاليد التي أضافها الله إلى نفسه ليست كاليد التي أضفتها إلى نفسي مع أن التركيب واحد هذا بحسب الإضافة؛ والأول القرية بسحب السياق.

المتن

ونقول:

ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك، فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فغير المعنى به.

الشرح

ما عندك إلا زيد وما زيد إلا عندك؛ يعني ما يعني أن غيره عندك لكن يعني أن يكون زيد في مكان آخر؛ فهنا الحصر في المكان والأول الحصر في الكائن.

المتن

إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني. وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله - عز وجل - وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم.

الشرح

انتبهوا إلى هذه النقطة "الذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم" لقب أهل السنة لأنهم تمسكوا بالسنة؛ والجماعة لأنهم اجتمعوا عليها؛ فهو لا يصدق إلا على هؤلاء أما من قال: إن المراد بالجماعة هنا جماعة الإمامة أهل السنة والجماعة يعني اللذين تحت إمام واحد؛ هذا كذب على اللغة بل المراد بالجماعة: الاجتماع هذا الأصل في لفظ الجماعة كما قال شيخ الإسلام في "الواسطية" قال الجماعة في الأصل اسم للاجتماع فيكون معنى أهل السنة أي أهل السنة والاجتماع على السنة؛ بهذا نعرف أن مذهب المفوضة أو بعبارة أصح أن المفوضين والمؤولين لا يصدق عليهم أنهم أهل السنة مع أن كثيراً من المتأخرين يرون أن أهل السنة والجماعة ينحصرون في المفوضة والمؤولة. ولكننا نقول بملء أفواهنا أن المفوضة والمؤولة لا يصدق عليهم هذا اللقب لأننا نعلم أن سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسنة أصحابه هو إبقاء النصوص على ظاهرها على ما يليق بالله - عز وجل - والمؤولة يُحرفونها عن ظاهرها. ونعلم أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم - وأصحابه أو أن سنة النبي عليه الصلاة والسلام - وأصحابه أن لهذه النصوص معنى يليق بالله وأن المفوضة يقولون لا معنى لها أو على الأقل يقولون لانعم لها معنى.

فالحاصل أن لقب أهل السنة والجماعة نأبى أن ينطبق إلا على مذهب السلف فقط الذين يُجرون النصوص على ظاهرها على معنى يُليقُ بالله-سبحانه وتعالى-. ونقول: كَلِّدْ عِي وَضَلَا لِلِيلِي..... وِلِيلِي لَا تُقِرُّهُمْ بِذَاكَ هَاتُوا بَرَهَانَكُمْ وَتَفَضَّلُوا عَلَى مَائِدَةِ الْمُنَاقِشَةِ أَيْنَ السُّنَّةُ مِنْ قَوْمٍ يُخَالِفُونَ سُنَّةَ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ؟! أَجِيبُوا ؛ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ.

فإذا كان هؤلاء المفوضة يُخالفون طريق النبي- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه ؛ لأن النبي وأصحابه يَقْرُونَ بِاللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَهَؤُلَاءِ يَقْرُونَ بِاللَّفْظِ وَلَا يَقْرُونَ بِالْمَعْنَى.

أين السنة والجماعة من قوم يُحرفون الكَلِمَ عن مواضعه و يقولون: ليس المرادُ بها ظاهرها؟ مع أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه سُنَّتِهِمْ أَنْ تَجْرَى عَلَى ظَاهِرِهَا وَلَكِنْ تَقُولُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَلَكُوا مَذْهَبَ التَّفْوِيزِ أَوْ مَذْهَبَ التَّأْوِيلِ إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ مَوْدَى اجْتِهَادِهِمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ حَقًّا وَلَكِنْ لَمْ يُوفِقُوا لِإِصَابَتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْفُو عَنْهُمْ لِأَنَّ الرَّسُولَ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَعَلَ لِمَنْ اجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ أَجْرًا وَاحِدًا وَلِمَنْ اجْتَهَدَ وَأَصَابَ أَجْرَيْنِ. فَنَحْنُ نُخْطِئُهُمْ وَنَقُولُ: أَخْطَأْتُمْ وَلَمْ تُصِيبُوا لَكِنْ هَلْ أَتَمْتُمْ؟

نَنْظُرُ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ وَصَدَّقَ فِي طَلْبِهِ وَاجْتَهَدَ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهِ فَإِنَّا لَا نُؤْتِمُّهُ لَكِنَّا نُضِلُّهُ فِي رَأْيِهِ لَا نُضِلُّهُ فِي مَسْلَكِهِ وَمَنْهَجِهِ لَكِنْ نُضِلُّهُ فِي رَأْيِهِ. فَهَتَمْتُمْ؟ أَمَا مَنْ عَلِمْنَا أَنَّهُ مُنَازِعٌ مُكَابِّرٌ لَا يُرِيدُ الْحَقَّ وَإِنَّمَا يُرِيدُ نُصْرَ رَأْيِهِ وَنُصْرَ مَتَّبِعِيهِ فَإِنَّا نُضِلُّهُ وَنُخْطِئُهُ وَنُؤْتِمُّهُ أَيْضًا لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُجْتَهِدٍ. وَهَذَا هُوَ الْمِيزَانُ الْقَسْطُ وَنَحْنُ لَنْظُمِ أَحَدًا عَلَى حِسَابِ دِينِنَا أَوْ عَلَى حِسَابِ مَا يَجِبُ عَلَيْنَا مِنَ الْعَدْلِ إِنَّمَا نَقُولُ: الْعَدْلُ شَرَعُ اللَّهِ فَإِذَا تَمَسَّكَ بِهِ أَحَدٌ وَأَدَّى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِآتَمٍ.